جرائم الاحتلال الفرنسي في منطقة تيارت (1830-1846)

The crimes of the French occupation against the inhabitants of Tiaret(1830-1846)

دوبالي خديجة ♦

جامعة ابن خلدون تيارت doubali_histoire@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/06/02 تاريخ القبول: 2023/03/19 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص باللغة العربية: اعتبرت منطقة تيارت من الناحية الادارية والسياسية تحت نفوذ العثمانيين على مستوى بايلك الغرب منذ أن تمكنت السلطات العثمانية من تحرير وهران نهائيا من الاحتلال الاسباني سنة 1792 وبقيت كذلك إلى أن احتل الجيش الفرنسي مدينة الجزائر سنة 1830م، ثم أخذ يتوسع تدريجيا نحو الداخل إلى أن تمكن من اسقاط بايلك الغرب سنة 1832م ومعه سقطت منطقة تيارت وضواحيها.

وبما أن منطقة تيارت وفرت بحكم موقعها الجغرافي الممتاز قاعدة عسكرية لمقاومة الأمير عبد القادر وغيرها من المقاومات الشعبية فإن السلطات الفرنسية بكل مؤسساتها المدنية والعسكرية والسياسية كثفت جهودها في سبيل اجهاض هذه المقاومة وغيرها مستعملة في ذلك شتى الوسائل والسبل. فقد ارتكب قادة جيش الاحتلال الفرنسي أبشع الجرائم في حق ساكنة تيارت، كما اجتهدت المؤسسات التشريعية الفرنسية في سن القوانين التي تخدم توسعها على حساب المنطقة.

من خلال هذه الورقة البحثية سوف نعرض نماذج من جرائم الاحتلال الفرنسي ضد ساكنة تيارت وضواحيها، لاثبات وجهة النظر التاريخية التي مفادها الرفض القطعي والصريح الذي أعلنته القبائل على مستوى المنطقة لسياسة الاستيطان الفرنسي، هذا من جهة، ورفضهم مغادرة وطنهم الأم الذي لم يرضوا التنازل عنه من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: تيارت؛ القبائل؛ الاستيطان الفرنسي؛ المقاومة؛ المجازر ؛

Abstract: The region of Tiaret is considered administratively and politically under the influence of the Ottomans in western

♦ المؤلف المرسل

Algeria since 1792 This situation lasted until France occupied the city of Algiers in 1830, then the French army began to gradually expand inwards until they can subjugate the entire western region in 1832 including the region of Tiaret and its suburbs. And since the region of Tiaret offered, by virtue of its excellent geographical location, a military base to the resistance of the Emir Abdelkader and to other popular resistances, the French authorities, with all their civil, military and political institutions, intensified their efforts to abort this resistance. and others, using various means, including human resources, and materials.

The leaders of the French occupation army committed the most heinous crimes against the people of Tiaret. On the other hand, the French legislative institutions worked hard to enact laws that served its expansion at the expense of the region.

Through this research paper, we will present examples of the crimes of the French occupation against the inhabitants of Tiaret and its suburbs, to prove the historical point of view which is based on the definitive and explicit rejection announced by the tribes at the level of the region to the French colonization policy, on the one hand, and their refusal to leave their homeland, on the other.

Keywords

Tiaret; tribus; colonies french; resistance; massacres;

مقدمة:

كان سقوط مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م نذيرا بسقوط صرح الأمة الجزائرية الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري والأدبي، فكانت مأساة الجزائريين على يد أعداء الانسانية من بين أفظع مآسي التاريخ؛ فقد شهدت تلك الفترة أعمالا بربرية وحشية ارتكبتها السلطات الفرنسية لتحويل الجزائر إلى جزء لا يتجزأ من فرنسا.

فقد برهنت الأبحاث التاريخية الجادة بأن الحصار الذي فرض على الجزائريين، وإجبارهم على الخضوع والاستسلام والانسلاخ عن مقومات شخصيتهم الاسلامية لم يكن لدافع عنصري فقط، بل لحقد ثقافي وحضاري كذلك امتد لعصور غابرة بدأ مع الحروب الصليبية. ومع هذا كله فقد حافظ هؤلاء المضطهدين دينيا وعرقيا على حضارة أجدادهم ضمن ثقافتهم الخاصة. وما كانوا ليستطيعوا أن يصمدوا أمام هذه الأوضاع لولا رفعهم

"للتحدي" الذي فرض عليهم، واستجابتهم "للمبدأ الناظم" لحضارتهم، المتمثل في تشبثهم بدينهم الإسلامي. ولا عجب في ذلك، فالحضارات لا تبلغ غاياتها القصوى، إلا عندما تنطوي على دين أو ما يشبه الدين الذي يحدد قيمتها ونظرتها الشاملة.

على هذا الأساس سعت السلطات الفرنسية بكل مؤسساتها منذ الساعات الأولى من احتلال الجزائر إلى استعمال كل السبل وتوفير كل الامكانيات لتحقيق أهدافها المسطرة. ولأن مشروعها التوسعي اقتضى منها احتلال كل التراب الوطني بدون استثناء فقد عمل الجيش الفرنسي على التوغل إلى الداخل، ومن بين المناطق التي استقطبت اهتمام القادة الفرنسيين نظرا لموقعها الاستراتيجي وطبيعة سكانها المقاومة والصامدة، تيارت وضواحيها. فقد وضعت السلطات الفرنسية مجموعة من الاجراءات القمعية لاخضاع ساكنة المنطقة، يقينا منها بأن الأمر لن يتطلب وقتا طويلا ومجهوذا جبارا، ولكن كل توقعاتها كانت خاطئة، إذ واجهت حركة التوسع على حساب تيارت وماجاورها حركة مقاومة عنيفة كبدت فرنسا خسائر كبيرة، وأخذت منها فترة زمنية طويلة.

انطلاقا مما ذكر أعلاه فإن موضوع بحثنا هذا سيرتكز على عرض نماذج من جرائم الاحتلال الفرنسي ضد ساكنة تيارت وضواحيها مؤرخة زمنيا من سنة 1830م تاريخ سقوط مدينة الجزائر وإلى غاية سنة 1846م في محاولة منا تقييم المسار التاريخي للمنطقة في أبعاده السياسية والدينية والعسكرية والإجتماعية، بوصفه تاريخ مواجهة بين انتماءين حضاريين مختلفين.

الهدف من هذا التتبع الأخير تخليص كفاح ساكنة تيارت وضواحيها من بعض التصورات الاستشرافية والتصورات العربية على حد سواء، هاتين اختزلتاه معا في التعبير عن احتدام الصراع الحضاري بين الفرنسيين والجزائريين دون النظر في تحولاته واختلافاته، مع العمل على تخليصه كذلك من كل المزاعم المغلوطة. فموضوعنا هذا ينطلق من افتراض يذهب إلى أن تلك المقاومة تسمح لنا بالحديث عن وجود تنظيم سياسي وعسكري قوي وجاد في المنطقة.

تكمن الأهمية التاريخية للموضوع كونه يبرز دور ساكنة المنطقة في التصدي للعدوان الفرنسي وسياسته الاستيطانية، فقد كان لها حضورا قويا وفعالا برز من خلال مقاومة الأمير عبد القادر والثورات التى تلتها في الجنوب الغربي.

بما أن كل بحث يحاول من خلاله الباحث التأسيس لفكرة ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها، فكان لابد له أيضا أن ينطلق من اشكالية تكون الأساس لبحثه، بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا على إشكالية عامة تمثلت فيما يلي: هل إستطاعت السياسة الفرنسية اخضاع ساكنة تيارت وضواحيها ؟ وللإحاطة بهذه

الإشكالية من مختلف جوانبها قمنا بطرح مجموعه من الأسئلة الفرعية نجملها فيما يلي: كيف استطاعت تيارت بفضل تاريخها العريق وموقعها الجغرافي وبنيتها الاجتماعية أن تشكل محور اهتمام العديد من الامم والحضارات قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وما هي الإجراءات التشريعية التي قامت بها الإدارة الفرنسية لبسط نفوذها على المنطقة؟ وما هي الوسائل والسبل التي استعملها في سبيل اجهاض المقاومة الشعبية في المنطقة؟.

وللاجابة على الاشكالية المطروحة أعلاه وما تفرع عنـها من أسئلة اتبعنا المنهج التاريخى الذي يعتمد على تحليل وتفسير الأحداث الماضية، فيصف عناصرها ويحدد مسبباتها ويسرد نتائجها، مستعينين بتلك المعلومات لاستيعاب الواقع التاريخي، مستنبطين عدة نتائج محللة ومدروسة وفق خطوات علمية متسلسلة.

1)-التعريف بمنطقة تيارت جغرافيا وتاريخيا: يعود اسم المدينة إلى أصول أمازيغية، إذ كانت تسمى «تيهرت» وهذه الأخيرة تعرض لتعريفها الكثير من المؤرخين والجغرافيين على حد سواء ومن بين هؤلاء نذكر الادريسي[1] وعبيد الله البكري[2]. تقع تيارت في الجهة الغربية من الشمال الجزائري، وهي تدرج ضمن ولايات الهضاب العليا، يحدها شمالا ولايتي تسيمسلت وغليزان، ومن الجنوب ولايتي البيض والأغواط، ومن الشرق ولاية الجلفة. ويعتبر موقعها هذا امتدادا طبيعيا لبلاد الزاب. وبهذا فإن تيارت تحتل موقعا استراتيجيا مهما حيث تعد همزة وصل بين مناطق التل والصحراء، مما جعلها تتبوأ مكانة تجارية هامة بين مدن المغرب، وتمكنت بفضل ذلك من فرض سيادتها على المناطق السهبية، وبالتالي السيطرة على الطرق التجارية التي تمتد غربا إلى المغرب الأقصى، وجنوبا إلى قلب افريقيا عبر الصحراء الكبرى، كما تشرف على الطريق المار من منطقة التلول إلى أسفل وادي شلف المؤدي إلى البحر.[3]

تعتبر تيارت من بين المدن التاريخية[4] مؤسسها هو الإمام عبد الرحمن بن رستم [5]، بعدما اتخذها عاصمة لمملكته[6] شرع في بناء المدينة[7]، وخلال عهده شيدت القصور

1-أبوعبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح وتق: إسماعيل العربي، دط، د د ن، الجزائر، 1983، ص ص:78، 79.

2-البكري أبو عبد الله، المسالك والممالك، تح:جمال طلبة، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص: 69.

3- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط:3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص:98.

والبيوت والأسوار والحصون والمسجد الذي كان أول ما تم بتاؤه، وتحولت المدينة إلى مكان للعيش الآمن والهنيء[8]. لم يستمر الوضع على هذا الحال كثيرا فقدعرفت المملكة ضعفا إلى أن كانت نهايتها على يد الفاطميين هؤلاء تمكنوا من السيطرة على كل بلاد المغرب الإسلامي ووضعوه تحت ادارتهم وحكمهم[9].

بعد سقوط الفاطميين عرفت المنطقة بمملكة الونشريس[10] التي تكونت أواخر القرن الرابع هجري عندما اشتد الخلاف بين باديس بني زيري بالقيروان وحماد بن بلقين، فانتصر بنو توجين لباديس فكان النصر حليفه، فاعترف لهم بالجميل مترجما ذلك باقطاعه لهم حكم جبل الونشريس[11]، وكانت امارتهم في بدايتها تعرف بامارة بني

4-المدينة التاريخية هي تلك التي احتفظت بمعالمها العمرانية والفنية، وتحمل في ثناياها تراث الماضي وحضارته. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: السيد محمود البنا، المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها، د ط، مكتبة زهراء الشرق، د ب ن، د س ن، ص ص: 12-15.

5- **الإمارة** لغة: هي كلمة مشتقة من الفعل أمر، يأمر، أمرا، وهي تعني صار أميرا. ينظر: وجدي محمد فريد، دائـرة معـارف القـرن العشريـن، ط: 3، دار المعرفة، بيروت، د س ط، ص:570. وتتفرع الإمارة إلى أنواع من أهمها إمارة الاستيلاء، هذه الأخيرة تقع نتيجة انشقاق بعض الولايات، فيستأثر أمراء هذه الولايات بالسلطة ولكنهم يعترفون في الوقت نفسه بالخليفة خوفا من سخط العامة التي ترى فيها رمزا لوحدة الأمة الإسلامية ومجدها. ينظر: القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ط:5، دار النقاش، لبنان، 1405هـ/ 1985م، ص:526.

6- ابن خلدون محمد بن عبد الرحمن تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، ج: 6، د ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/1871م، ص:156.

7-أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص:249.

8- المهدي البوعبدلي، لقطات من تاريخ مدينة تيهرت التاريخي والحضاري في القرون الأولى من العهد الإسلامي، بحث نشر ضمن مؤلف جماعي موسوم بـ: تاريخ المدن، جمع واعداد: عبد الرحمن دويب، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص:208-210.

9- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج:6.

10- **الونشريس**: ورد ذكره الكتاب العرب والمسلمين القدماء بعبارات مختلفة منها: وانشريس وأنشريس وأرشنيش وورشريس وورسنيس، وبهذا الاسم الأخير يعرف عند عامة أهل المنطقة. ينظر: ابن الحسن علي ابن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح وتق: إسماعيل العربي، د.و.م.ج، الجزائر، 1982، ص 141. وعن معنى لفظ الونشريس فتعني ماليس أعلى منه. ينظر: جيلالي صاري، "الونشريس مهد الكفاح بعيد وقريب، مجلة الأصالة، ع.83-84، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص: 29.

11-تشكل جبال الونشريس وجبال بني شقران واجهة جغرافية واحدة، وتتميز سلسلة الونشريس ببساطة في تسلسلها ارتفاعا وانخفاضا تتخللها عدة قمم مرتفعة أهمها أشاون التي تعلو1850 متر، وقمة سيدي اعمر التي تعلو1985 متر، وسيدي عبد القادر. ينظر: سحنون سعيداني، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص: 2.

توجين[12] ثم استحالت إلى مملكة على عهد الأمير عبد القوي وصارت تعرف بمملكة ونشريس[13]. ثم جاء عهد الحكم الموحدي[14] الذي كانت تربطهم بالمملكة روابط قوية[15]. ولأن سنن الله في كونه اقتضت زوال أمم وحضارات وظهور غيرها كما صورتها نظرية الهرم الخلدوني فكذلك كان الحال بالنسبة لمنطقة تيارت التي عرفت عهود ومراحل تاريخية كانت لكل خصائصها.

هذا فيما يخص الحقبة الوسيطة أما في العهد الحديث فقد عرف المغرب الأوسط تغييرات كبيرة ليس على مستوى البنية الاجتماعية فقط، بل حتى السياسية والعسكرية والاقتصادية. فبعد سقوط غرناطة"Grenada"[16] سنة 1492م[17] وضعت اسبانيا مشروعا توسعيا ليس على حساب الساحل الجزائري فقط، وإنما على حساب السواحل المغاربية عموما، متخذة من الدافع الانتقامي محركا أساسيا لهذا المشروع[18]. فكانت البداية مع سنة 1505م[19] تاريخ احتلال المرسى الكبير[20]، مرورا باحتلال وهران سنة

12-**بنو توجين**: ينتمون إلى زناتة وهم أبناء واغين ابن بهاء الدين. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: عبد القادر دحدوح، امارة بني توجين بمنطقة الونشريس بين مواجهة الصفار وتحدي الكبار، مجلة أبحاث، منشورات دار الثقافة لولاية تسيمسلت، ع:1، 16-20ماي 2020م، ص:38.

13-غلب على المملكة الطابع الرعوي الفلاحي فهي تستحوذ على مساحات زراعية خاصة زراعة الحبوب والخضر والفواكه، لوجود سهول خصبة مثل سهل وادي الشلف وسهل السرسو، كما يكسو الونشريس غابات أهمها، غابات الأرز. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص: محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص: 46.

14- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول نشأة هذه الدولة ينظر: عبد الواحد محي الدين بن عبد الله المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، - تح: العريان سعيد-، د ط، المجلس الأعلى للشؤون العربية-، الجمهورية العربية المتحدة، د س ط، ص ص:245-276 بتصرف.

15- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص: 213، 211.

16- **غرناطة:** معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ط:2، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، د ب ن، 1311هـ/1921م، ص: 160.

17- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: المقري بن محمد أحمد شهاب الدين، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

18- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر:

Chaumu، Monorites et conjoncture l'expulsion des Morisque en 1609, R his, Paris, 1961, n°1, P : 90.

19- كانت البرتغال السباقة لاحتلال المرسى الكبير. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: عبد القادر فكاير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية، دار الناشري للنشر الالكتروني، الكويت، ع: 18 ديسمبر 2012، ص ص: 20__ 25.

20- **المرسى الكبير:** مدينة ضغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ج:2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص:31.

1509م[21]، فبجاية عام 1510م[22]، ثم تتالي سقوط المدن سواء طواعية أو كرها[23] وإلى غاية سنة الطرد النهائي للاسبان من وهران والمرسى الكبير سنة1792م.

عقب هذه الأحداث، ولأن الجزائر في تلك المرحلة الحرجة من تاريخها كانت تفتقر لوحدة سياسية واجتماعية، وقوة عسكرية، اضطرت للبحث عن منقذ لها يدفع عنها هذا الخطر الصليبي؛ فلم تجد أمامها سوى الخلافة العثمانية التي حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الآراضي الإسلامية من التحرشات الصليبية. على هذا الأساس استنجد الجزائريون بالاخوة بربروس[24] المتواجدين في جزيرة جربة سنة 1504م، هؤلاء مثلوا الخلافة العثمانية على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط، لكن سرعان ما تحول هذا الدعم العسكري إلى الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 1519م وتعيين خير الدين[25] باي لارباي[26] عليها ليدير شؤونها.

بعد أن أصبحت الجزائر ايالة عثمانية تم تزويدها بعتاد حربي وبحري[27]، ووحدات من الجيش الانكشاري[28]؛ كما عمد حكام الجزائر بداية من خير الدين إلى رسم

21- للاطلاع على مجريات الغزو الاسباني على المرسى الكبير ينظر: مرمول كريخال، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، د ط، دار المعرفة، الرباط، 1989، ص: 271.

22- Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R,C, 1871_1872, P : 254.

23- للاطلاع على معلومات أكثر حول هذا الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ط:1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

24- **بربروس:** هم أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف: عروج وخير الدين وإسحاق، الذين التحقوا بالقوات العثمانية مند حوالي 1504م، واستحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا قويا، وشرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين انطلاقا من جزيرة جربة، وحلق الوادي، وجيجل. وأثمرت جهودهم بالسيطرة الكاملة على غربي البحر الأبيض المتوسط. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، د ط، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البحث، الجزائر، 1973م، ص:28.

25- **خير الدين:** ذهب البعض أن أصله من اليونان ثم اعتنق الإسلام. ينظر: كورين شوفالي، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1540م، تر: جمال حمادنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص:24. في حين ذكر آخرون أن أصله يرجع إلى الأتراك. ينظر: محمد يوسف الزياني، دليل الجيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران، تق وتع: المهدي بوعبد الله، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص:183. ولد سنة 861هـ/ 1474م. ينظر: أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصر الدين سعيدوني، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ص: 32.

26- **باي لارباي**: تعني. ينظر: A.Bellegrin , Essai sur les noms et les les lieus d'Algérie: et de Tunisie, Etymologie édition, Tunis, S. A. P. I, 1940, P : 204.

27- محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلاءهم على أوطانها، مر، تع: يحي بوعزيز، د ط، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص:77.

28- **الإنكشارية**: مكونة من قسمين "**يكي** yeni" ويعنى "**جديد**" و"**جري**cery" بمعنى "**العسكر**". ينظر: أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط:1، دار القاهرة، القاهرة، 2007م، ص ص: 21، 22.

معالم وأسس الدولة الجزائرية الحديثة، فأقيمت المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية لتنظيم شؤون البلاد وتسير مصالح العباد، ووضعت التقسيمات الجغرافية لتمكينها من السيطرة على زمام الأمور خاصة وأن الجزائر عرفت باتساع مساحتها الجغرافية. تمثلت هذه التقسيمات في دار السلطان[29] وعاصمتها مدينة الجزائر وثلاث بياليك[30] بايلك تيطري[31] وعاصمته المدية، ثم بايلك الشرق[32] وعاصمته قسنطينة[33]، فبايلك الغرب.

خضعت منطقة تيارت اداريا وسياسيا لبايلك الغـرب الذي أسـس سنة968 هـ/ 1563م[34]، تمتد رقعته الجغرافية من وادي ملوية غربا إلى دار سلطان وبايلك التيطري شرقا ومن سواحل البحر الأبيض شمالا إلى الصحراء جنوبا. كانت عاصمته في بداية الأمر مدينة مستغانم ثم تحولت إلى مازونة، فقلعة بني راشد بعدها مدينة معسكر فوهران، ثم مدينة مستغانم للمرة الثانية بعدها استبدلت بمدينة معسكر[35]، التي اتخذتها السلطة

29-**دار السلطان**: ورد تسميتها في الوثائق العثمانية بـ " محروسة الجزائر" أو "باب الجهاد". ينظر: ملفات الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم الملف: 3205.

30- **بياليك**: مفرده "بايلك ".مصطلح تركي أطلقته الإدارة العثمانية على الاطار الجغرافي التابع لسلطتها. ينظر: مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي للأرشيف العثماني الجزائري(956-1246هـ/ 1549- 1830م)، د ط، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي، د س ن، ص: 268.

31- أسس سنة 947هـ /1540م. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن عبد الكريم، ط:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص: 36.

32- تضاربت الروايات التاريخية حول التاريخ الحقيقي لالتحاق المنطقة الشرقية بالسلطة العثمانية. فهناك من المؤرخين من ربطه بسنة التي اخضع خلالها خير الدين مدينة القل لسلطته وكان ذلك سنة 925هـ/1519م. ينظر:

M . Léon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C libraire- éditeur, Parie, P : 7.

أما البعض فأرجعه إلى الفترة الممتدة ما بين سنة 925هـ /1519م وسنة 929هـ/1522م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص: 11.

33- ورد تسميته في ملفات الوثائق العثمانية ببايلك قسنطينة نسبة إلى مركز حكمه مدينة قسنطينة. ينظر: ملفات الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم الملف: 1642.

34ترجح بعض الروايات التاريخية أن حسن بن خير الدين باشا كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية ببايلك الغرب، وتم له ذلك قبل عودته من حصار وهران متجها إلى مدينة الجزائر سنة 968 هـ/1563م. ينظر:

Esterhazy Walisn, Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, 1840, P : 165.

35- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

العثمانية على مستوى البايلك كنقطة انطلاق لتحرير وهران[36]، هذه الأخيرة أصبحت عاصمة البايلك نهائيا بعد تحريرها من الاسبان سنة 1207هـ/1792م.

يعتبر بايلك الغرب ثاني أكبر بايلك بعد بايلك الشرق. وما عرف على هذه المنطقة أنها كانت ذات طابع حربي، وذلك لما شهدته من توتر العلاقات العثمانية مع حكام المغرب الأقصى هذا من جهة، والتهديد الاسباني الدائم لها من جهة أخرى.

2)- البنية الاجتماعية للمنطقة : ضمت منطقة تيارت ضمن اطارها الجغرافي العديد من القبائل التي كان لها وزنها الاجتماعي والسياسي وفيما يلي جدولا يقدم نماذج منها:

اسم القبيلة	أصلها وفروعها
الأحرار الشراقة	تكون هذا الفرع من القبائل التالية: أولاد الزاوي، الشاوية، أولاد عزيز، أولاد بلحصين وأولاد بوعفيف، الكعابرة[37].
الأحرار الغرابة	ضم هذا الفرع قبائل أولاد زيان الشراقة، والغرابة، وأولاد الدهالسة، والغوادي وأولاد حدو[38].
قبيلة الأرباع	تعد من بين القبائل العربية الهلالية التي استقرت بناحية الزاب، تتكون هذه القبيلة من أربعة عروش، وهم: العمامرة، أولاد زيد، الحجاج، أولاد صالح، تعتبر قبيلة الأرباع من بين القبائل البدوية التي اعتمدت أسلوب الحل والترحال[39].

36-13- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول تحرير وهران من الاحتلال الاسباني ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

37- قدرت الروايات التاريخية عددهم بحوالي اثني عشر ألف نسمة (12000) وكان ذلك خلال الأربعينيات من القرن التاسع عشر ميلادي. ينظر: كمال بن صحراوي، أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري، (ثورة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864م أنموذجا)، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الجزائر، ع: 15، جوان 2015، ص: 325.

38- قدرت الروايات التاريخية عددهم بحوالي أربعة عشر ألف وثمانمائة نسمة (14800) وكان ذلك خلال الأربعينيات من القرن التاسع عشر ميلادي. المرجع نفسه، ص:325.

39- محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د د ن، الجزائر، ص: 167.

قبيلة العمور	ينسبها ابن خلدون لغير الهلاليين استوطنت منطقة جبال القصور[40] ضمت الفروع التالية: أولاد بكر ولها ثلاث فرق هي: أولاد عبد الله، أما الفرقة الثانية وهم أولاد قطيب، بينما الفرقة الثالثة هم المذابيح،[41].
حميان	استقرت هذه القبيلة بإقليم تيارت في جزئه الجنوب الشرقي والجنوب الغربي
أولاد خليف	ينتمون إلى جماعة الأشراف قدموا إلى المنطقة مع الفتح الإسلامي الثاني سنة 750هـ/1350م[42].
القنادزة	قبائل عربية، ترجع أصولها إلى بلاد المشرق، تنسب إلى عامر بن قندوز. استقرت بالمنطقة مند زمن بعيد من فروعها الرحاحلة والحمايد[43].
أولاد شريف	فرع من بني سويد ينتسبون إلى عرب زغبة، قدموا إلبلاد المغرب الأوسط من الشرق الإسلامي.[44]

نلاحظ من خلال النماذج التى تم عرضها فى الجدول أعلاه أن النظام القبلى احتل مكانا مرموقا فى الحياة العامة فى منطقة تيارت وضواحيها خلال الحقبة الوسيطة واستمر يحتلها ويطبعها بطابعه إلى غاية الحقبة العثمانية، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هى المحور الأساس الذي كانت تدور عليه وفيه جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية. إذ ظلت القبيلة[45] مهيمنة على الواقع السياسي والاجتماعي في المنطقة قبل التدخل العثماني ولا زالت الفاعل الحقيقي حتى بعد التحاقها سنة 1520م في الكثير من قضايا الساكنة وذلك بحكم الموروث الحضاري والفكري والاجتماعي الراسخ في ضمير المجتمع الجزائري. فبالرغم من وجود اطار سياسي

40- فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة سيدي الشيخ (1820-1896)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة وهران، 2004-2005م، ص:89.

41- مجدوب ميساوي، مقتطفات من تاريخ قبيلة العمور ببلاد جبال العمور، الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع:12، ص: 128.

42 - E. Carette, Origine et migration des principales tribus de l'Algérie, Imprimerie impériale, Paris, P : 476.

43- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 34.

44- فاطمة حباش، المرجع السابق، ص:90.

45-عرف المختصون القبيلة بأنها جماعة من الناس الذين ينتمون إلى نسب واحد أو جد أعلى، وتتكون القبيلة الواحدة من عدة عشائر وبطون، واشترط علماء الاجتماع في قيام القبيلة شرطين أساسين؛ وهما: الاستقرار في بقعة جغرافية محددة، ووجود عاطفة تجمع أفراد القبيلة على مبادئ محددة، ويؤمنوا أفراد القبيلة بثقافة متجانسة ضد الميحط الخارجي. وتتكون الخلية الأولى للقبيلة من الأسرة التي تتكون بدورها عن طريق المصاهرة. ينظر: الطاهري عمري، بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، د ط، جامعة منتوري، قسنطينة 2001م، ص ص: 215، 214.

بارز في الجزائر الوسيطة المتمثل في المملكة الزيانية[46] إلا أن هذا الكيان لم يستطع أن يوحد البلاد اجتماعيا وحتى سياسيا نظرا لمعطيات عدة تشكل في حد ذاتها موضوع بحث منفصل.

وبهذا تعتبر القبيلة وحدة سياسية ووحدة اجتماعية ووحدة اقتصادية بناء على ما يلي:

- **وحدة اجتماعية**: تتجمع القبائل في تجمع عدد من الدواوير[47]أو الخيام، ومجموعة هذه الدواوير تشكل فرقة[48] يحكمها شيخ[49]، وهي غريبة عن بعضها البعض بحيث تنتسب إلى نسب واحد[50].
- **الوحدة السياسية:** تتطور القبيلة بناء على التحالفات[51] التي تقيمها مع قبيلة أو أكثر، لتتمكن من حماية وجودها، وبسط نفوذها، وتتقوى إلى أن تغطي منطقة بكاملها وتصبح قوة سياسية وعسكرية[52].
- **الوحدة الاقتصادية:** تكون المجتمع القبلي في الجزائر خلال الفترة قيد الدراسة من قبائل زراعية، وقبائل رعوية متنقلة، هذه الأخيرة كانت تقيم في الخيم وتغير مكان اقامتها تبعا للفصول وتوفر الكلأ والماء[53].

من خلال ما تم عرضه من معطيات نستطيع الخروج بمجموعة من الملاحظات من أهمها نذكر:

46- **المملكة الزيانية**: نسبة إلى بني زيان، هؤلاء يعودون في أصلهم إلى قبيلة بني عبد الواد، أحد بطون زناتة. ينظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، د ب ن، 2008م، ص:117.

47- **دواوير**: مفرده دوار. وهو عبارة عن مجمع من الخيام. ينظر:

Pierre Boyer, Les pachas triennaux à la revolution d'Ali Khoja (1571_1817), R H, N: 495, (99/124), P. U. F, 1970, P: 19

48- ورد هذا المصطلح بهذه الصفة في ملف الوثائق العثمانية. ينظر: ملف الوثائق العثمانية رقم:1642- المصدر السابق.

49- ورد هذا المصطلح بهذه الصفة في ملف الوثائق العثمانية. ينظر: الملف رقم:1640، المصدر السابق.

50- توفيق دحماني، النظام الضريبي بايلك الغرب أواخر العهد العثماني (1193هـ-1779م /1246-1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص:51.

51- **التحالفات**: مفرده حلف وهو قسم الاخلاص، وكان يتم بين عدد من العائلات أو القبائل تجمعها مصالح مشتركة فتتحالف من أجل محاربة عدو مشترك، والهدف من اقامة هذا الحلف دفاعي أكثر منه هجومي. ينظر:

Laila Babes, Tribus, structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D. E. A d'études approfondies, Université de droit d'économie et de sciences d'Aix Marseille, P : 49.

52- بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران، 2007-2008م، ص:254.

53- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص:108.

- المصاهرة التي لعبت دورا هاما في التأسيس للتحالفات بين أبناء القبيلة وأفخاذها أو بين القبائل فيما بينها إذ تعتبر المصاهرة أداة هامة سياسيا واقتصاديا في الثقافة القبلية.
- الخضوع لقوانين صارمة مستمدة من الأعراف، والتقاليد، إذ تعتبر هذه الأخيرة حقائق مطلقة ومغلقة ومتوارثة مما يكسبها قداسة خاصة كونها تشكل تراث الآباء، وهو تراث له قيمته الوجودية في النظام القبلي.
- عدم قابلية التغيير والتجديد والحفاظ على نمط القبيلة ومجتمعها المغلق، خاصة النظام الأبوي الصارم الذي يؤسس لمنهج الرعية والتبعية والطاعة المطلقة لشيخ العشيرة.
- الثقة المطلقة بالقضاة والمحاكم القبلية لدى الجميع، وتصب هذه القوانين في مجملها في الحفاظ على مقومات الشرف الثلاثة؛ وهي: العرض، والدم، والمال.
- العصبية القبلية لذوي القربى والرحم، لما له من أهمية في التكاتف والتعاضد بين أفراد القبيلة الواحدة. فالتعصب للقبيلة في كل الأحوال والدفاع عنها حتى الموت يشكل هوية الفرد وانتمائه.
- إمكانية فض النزاعات وإصلاح ذات البين بعد اللجوء إلى الزعماء والوجهاء.
- تحالف النظام القبلي مع المؤسسة الدينية، فالأول لديه السلطة السياسية والمالية والثاني لديه سلطة الفتوى التي لها مفعول السحر على عقول أفراد المجتمع. هذا التحالف المزدوج نتج عنه تركيبة معقدة. فالسلطة الدينية حينما تتحالف مع السلطة القبلية ستوظف سلطتها لمصلحة هذه السلطة القبلية القائمة على العصبيات والمصاهرة النسبية، بالتالي ستوظف الفتوى في تعميق الانغلاق والأحادية في الرؤية. والشرعنة تعطيه قداسة لها شرعيتها السماوية التي تحرك الفرد والمجتمع وقت ما شاءت بالاتجاه الذي ترغبه السلطة.

3)- أساليب الاحتلال الفرنسي في اخضاع ساكنة منطقة تيارت: لقد تجسدت بربرية الاحتلال الفرنسي في حق الجزائريين من خلال استعمال القوة العسكرية للسيطرة على المجتمع وارتكاب المجازر في حق الجزائريين عموما[54]، وكانت منطقة تيارت من بين المناطق التي صب عليها قادة الاحتلال الفرنسي جم غضبهم أمثال

54- محمد الآمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصرة "دراسات ووثائق"، ط.4، البصائر الجديد، 2013، ص 93.

بيجو(Bugeaud) [55] وقادته العسكريين لامور سيار(La Moriciere)، وشننقارنييه (Changarnier)، وبليسيه (Plissier)، وسانت أرنو(Arnaud Saint) ومن بين أهم الأساليب المتبعة:

- ✓ " سياسة الأرض المحروقة".
- ✓ تحطيم أملاك كل القبائل المساندة للمقاومات الشعبية للتوسع في المناطق الداخلية والهضاب العليا.
- ✓ توظيف الدين بهدف اضعاف المقاومة الشعبية في المنطقة

فأما عن سياسة الأرض المحروقة فقد مارست سلطات الاحتلال الفرنسي كل أنواع القمع والتنكيل بهدف اقناع ساكنة تيارت سواء الحضرية منها أو الريفية بأن الوجود الفرنسي في المنطقة بشكل خاص والجزائر عموما أضحى أمر واقع، ولكنه هيهات فلا التعذيب أوالتنكيل أوالقتل حقق النتائج التي خططت لها فرنسا بكل مؤسساتها المدنية والسياسية والعسكرية، ذلك أن ساكنة المنطقة عرف عنها شجاعتها وقوة تحملها وبأسها الشديد، لذلك ظلت تقاوم بشتى الوسائل والسبل رافضة الوجود الفرنسي في الجزائر.

في المقابل طبقت سلطات الاحتلال الفرنسي أساليب جهنمية بهدف اخضاعها كتطبيق سياسة الأرض المحروقة وذلك بحرق المحاصيل الزراعية والغابات وإبادة السكان العزل في قراهم وهناك الكثير من النماذج الدالة على ذلك[56]، والتي أكدتها بعض تقارير القادة الفرنسيين أمثال "بيجو"، ومن بين النصوص التاريخية التي لا زالت دليلا على بشاعة أساليبهم نذكر ما دونه "الكونت سانت آرنو" في مذكراته، إذ كتب بهذا الصدد ما نصه:"**...حاربنا خلال سنة 1841م جيش الأمير عبد القادر، لقد أحرقنا الدواوير والقرى وكل الخيم، أحرقنا كل شيء، دمرنا كل شيء...**"[57]. كما أكد على ذلك الجنرال السفاح "بيجو" من خلال رسالة بعث بها إلى الأمير عبد القادر ورد فيها

ما نصه: "... **إنني أزف اليك خبر إبادة سكان المناطق التي تركتنا بها على آخرهم...**"[58].

في السياق ذاته استعملت سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة التهجير القسري، خاصة إذا ما ثبت مساندة بعض القبائل لزعماء المقاومات الشعبية، فقد أكد على ذلك

55- **توماس روبير بيجو(1774-1849):** عين حاكم عام للجزائر 1841م بعدما أقنع البرلمان الفرنسي بخطته لإدارة حرب الجزائر، صاحب سياسة الأرض المحروقة، ينظر: بسام العسلي، المارشال بيجو، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص 9.

56- بليل محمد، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، ع:2، دار الثقافة، تسيمسلت، 2013، ص78.

57- سانت آرنو، مذكرات سانت آرنو(1832-1841)، تر: عبد القادر ليفا، بداه المهدي، طبعة وزارة المجاهدين، د د ن- د ب ن، 2009، ص: 80-85.

58 -Jacques Morel, Calendrier, des Crimes de la France d'outre-mer, 2005, P :46.

الجنرال بيجو في برنامج مشروعه الذي طرحه أمام البرلمان الفرنسي بمناسبة تعيينه الحاكم العام بتاريخ 15-01- 1840، فقد أكد من خلاله أنه لن تنجح فرنسا في اخضاعها وفرض سيطرتها على الجزائر إلا بضرب البنية الاقتصادية للقبائل من خلال الاحتكار الشامل واستغلال خيرات الجزائريين وتجريدهم من أملاكهم[59]، ولقد تضمنت خطة "بيجو" العسكرية احتلال القواعد التي أسسها الأمير عبد القادر وحصونه[60]، لكن الوزارة الحربية الفرنسية رفضت تطبيق مشروعه بسبب نفقاته الحربية الكبيرة، لذا قرر "بيجو" البحث على مصادر أخرى، فوجد في الاستيلاء على ممتلكات القبائل الرافضة للاستسلام أحسن مورد لتطبيق مشروعه الجهنمي.[61]

ومن النماذج الدالة على ما فعله بيجو وأمثاله في حق الجزائريين العزل نذكر ما حدث لأفراد قبيلة الأرباع، إذ عمد قادة جيش الاحتلال إلى تقسيمها سعيا وراء إضعاف شوكتها، خاصة بعدما ثبت مساندتها ودعمها لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1866م.[62]

كما وظفت سلطات الاحتلال الفرنسي الدين بهدف اضعاف المقاومة الشعبية في المنطقة فلقد كانت العداوة الصليبية المستقرة في قلوب الفرنسيين تجاه الجزائريين أكبر من مسألة الدين أو غيرها، إذ كانت هناك رغبة جامحة عند ساسة وقادة فرنسا لاستئصال الأمة الجزائرية والقضاء على كل ما كان له صلة بالإسلام، لذلك اضطرت الأغلبية الساحقة من الجزائريين وعلى رأسهم ساكنة منطقة تيارت وضواحيها إلى رفع هذا التحدي الذي فرض عليهم، والاستجابة للمبدأ الناظم لحضارتهم. فقد كان لزاما عليهم البحث عن وسائل تمكنهم من البقاء دائما في حالة مقاومة مع قوة اعتبرت نفسها هي المسير والمقرر لمصيرهم؛ فكما هو معروف أن أي قوة اجتماعية، لابد لها من التعبير السياسي عن نفسها، ولا بد لها من استراتيجية شاملة تناسب حجم مصالحها، سواء في مجالها الداخلي أو الخارجي، هذا ما يتطلب الحضور الدائم في الزمان والمكان؛ هذه الاستراتيجية هي التي سوف تكشف، وتعكس المراحل الأكثر أهمية في حياتها.

فقد برهنت الأبحاث التاريخية بأن الحصار الذي فرض على الأمة الجزائرية عموما وسكان تيارت على وجه الخصوص وإجبارهم على الدخول تحت سلطان فرنسا قهرا ليس فقط لحقد عنصري، بل لحقد ثقافي وحضاري امتد لعصور غابرة بدأت مع الحروب

59- شارل وربر آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 32.

60- أطلق على خطته "لعبة الحواجز" ينظر: سعيداني سحنون، الإستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008 ، ص: 35.

61- إيف لاكوست وآخرون، المرجع السابق، ص ص: 285-286.

62- محمد السويدي، المرجع السابق، ص: 167.

الصليبية. ومع هذا كله فقد حافظ هؤلاء المضطهدين دينيا وعرقيا، على حضارة أجدادهم ضمن ثقافتهم الخاصة. وما كانوا ليستطيعوا أن يصمدوا أمام هذه الأوضاع لولا رفعهم "للتحدي" الذي فرض عليهم، واستجابتهم "للمبدأ الناظم" لحضارتهم، المتمثل في تشبثهم بدينهم الإسلامي.

فمن المعروف أن مختلف الحضارات تنتج تصوراتها، وتجهد في تأسيسها وتدعيمها بحثا عن الوحدة والتطابق ونفيا لكل تعدد واختلاف. وإذ تتغير هذه الحضارات، فإنها تضطر داخل ثقافتها وبواسطتها، إلى تشكيل تصورات مختلفة عن الحضارات الأخرى خاصة تلك التي تدخل في صراع معها وتروم تقويضها والقضاء عليها ولا عجب في ذلك فالغيرية هي التي تؤسس الهوية وليس العكس. وعلى الرغم مما عرفه الجزائريون عموما وتيارتيون على وجه الخصوص وعايشوه من ضروب الاضطهاد بقصد اجتثاثهم من الهوية العربية الإسلامية وتهميشهم وتجهيلهم، إلا أنهم لم يستسلموا لكل ذلك وعملوا على مواجهته بكل الوسائل والسبل[63].

فقد مثلت مقاومة ساكنة تيارت للاحتلال الفرنسي نموذجا فريدا ومشرفا للملحمة البطولية التي خاضوها ضد كل أنواع البطش والتنكيل، حيث تجسد ذلك في مقاومتهم اليومية لكل أوجه المسخ الثقافي والديني الذي مارسته سلطات الاحتلال الفرنسي بواسطة جيشها ومؤسساتها؛ وبهذا فقد قدموا أحسن صورة للنضال والمقاومة بغية افشال مشروع طمس الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية الذي حاول تجسيده على أرض الميدان كل حكام فرنسا خلال الفترة قيد الدراسة.

فمنذ الساعات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وذلك في 5جويلية من سنة 1830، عملت السلطات الفرنسية بكل مؤسساتها على طمس مقومات الهوية الجزائرية، فباشرت حربا شرسة على كل ما كان يرمز للشخصية الاسلامية كالمساجد والمدارس القرآنية، واللغة العربية، كما سعت إلى البحث عن فتاوى دينية تمكنها من اجهاض مشروع المقاومة الشعبية.

فقد سعت السلطات الفرنسية جاهدة لتوظيف الدين قصد اصباغ الشرعية القانونية والتاريخية على ما كانت تقترفه من جرائم في حق الجزائرين[64] معتمدة في ذلك على جيشها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاولت كسب تعاطف المجتمع الدولي عموما والفرنسي على وجه الخصوص بهذف تحصيل الدعم المادى والبشري والمعنوي في حربها الصليبية ضد الأمة الجزائرية، كما حاولت اقناع الجزائريين أو على الأقل جزء منهم بايقاف

63- سمير نعيم أحمد- النظرية في علم الاجتماع- ط:3- دار المعارف، - القاهرة - 1982 م- ص: 112.

64 -P-Azan , Les Grands soldats , publication Du National Métropolitain du cent unaire de l'Algérie, Alger, 1930 P :67.

المقاومة والخضوع لسلطة فرنسا. تجاوبا مع هذه السياسة وظف قادة الجيش الفرنسي المدعو لبون روشLéon Roche "[65] لتطبيق مشروعها الرامي لاقناع الجزائريين أن الدين الإسلامي يري في جهادهم هذا انتحارا وبالتالي فهو تهلكة ولا يصح تحت حال من الأحوال.

فقد تأكدت سلطات الاحتلال الفرنسي بأن الفتوى تعتبر سلاحا نافذا على المسلمين عموما، وذلك لعظيم مكانة الدين في وجدانهم ونفوسهم، فكتبوا تلك الفتوى التي تحرم الجهاد ضد الفرنسيين لأنها إلقاء بالنفس في التهلكة. ووجدوا في ليون روش تلك الشخصية المناسبة التي يمكنها القيام بهذه المهمة.

تظاهر روش باعتناق الإسلام وشارك في صياغة الفتوى بمساعدة مجموعة من شيوخ الطرق[66] الصوفية الجزائريين، خاصة لما لاحظ تعددها في الونشريس، فجنوب الونشريس منطقة تتبع الطريقة القادرية[67]، وجنوب السرسو[68] الطريقة التيجانية[69].

قرر ليون روش تنفيذ المخطط فأقنع بعض رجال الطرق الصوفية[70] بالتوجه معه إلى القاهرة وكان ذلك خلال سنة 1842م، لاستصدار الفتوى من علماء الأزهر، مفادها أنه

65-**ليون روش**: ولد في مدينة غرونوبل "" الفرنسية، في يوم 27 سبتمبر من سنة 1809م. وتوفي يوم 26 جوان من سنة 1901م.ينظر: يوسف المناصرية، المرجع السابق، ص:5.

66-**الطرق** ومفرده طريقة لها في اللغة عدة معان ولكن سنقتصر على ما يرتبط بموضوعنا. فالطريق هو السبيل، يذكر ويؤنث كأن يقال الطريقُ الأعظم أو الطريقُ العظمى، وقد أستُعير عن الطريق كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل ما محمودا كان أو مذموما، والطريقة تدل على الحال تقول فلان عل طريقة حسنة، أو على طريقة سيئة، وهي السيرة والمذهب وكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمودا كان أو مذموما. ينظر: أبو الفيض محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، دار الحكومة، الكويت، 1990، ص ص:72-82. بتصرف.

67- **منطقة السرسو**: تعني كلمة سرو في معجم البلدان المنطقة التي ترتفع عن مجرى السيل وتنخفض دون الجبل، ويؤكد ياقوت الحموي بالقول "**وسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل**" ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دط، دار الفكر، بيروت، د س ن، ص 217. وأما حدوده الجغرافية فهو سهل واسع يشكل جزء من السهول العليا بالجنوب الغربي الوهراني، تحده السهوب من الجنوب وجبال الونشريس من الشمال وسهول قصر البخاري من الشرق والسهول العليا من الغرب. ينظر: سحنون سعيداني، المرجع السابق، ص: 4.

68-**القادرية**: نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (471-561 هـ/1078-1166م) الذي أخذ أصول طريقته عن الجنيد. انتسب إليها الكثير من المريدين كعبد الكريم المغيلي بتوات، وأولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني ومرابطي مدن الجزائر وقسنطينة وبجاية و وصل تأثيرها إلى غاية فاس. ينظر: مياسي إبراهيم، مساهمة القادرية في تأطير الثورات الشعبية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع:4، 2003-2004م، ص ص:94-96.

69- **الطريقة التجانية:** أسسها أحمد بن امحمد بن المختار التجاني (ت1815). للاطلاع أكثر حول الموضوع ينظر: عبد الحكيم مرتاض- الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ والآثار بجامعة أحمد بن بلة — وهران- 2015-2016- ص ص: 45، 46.

70- كان هدف الجاسوس "ليون روش" من عمله هذا هو جعل الأمير عبد القادر يواجه الزوايا التي بجانبه في عين ماضي شمال الصحراء وخلق صراع طرقي بينهم، لكن الأمير عبد القادر حاول حقن دماء المسلمين...، لكن شيخ الزاوية كان

في حالة تعرض المسلمين إلى غزو عدو، فهم ملزمين بجهاده ما دام هناك أمل لطرده[71]، ولكن إذا تيقنوا من عدم قدرتهم على ذلك بسبب قلة العدة والعتاد وأن مواجهتهم له ستتسبب في نشر المعاناة وتفكيك المجتمع فعليهم أن يرضوا بالأمر الواقع وأن يرضخوا للعيش تحت سلطة الغازي مادام أنه لا يتعارض مع ممارسة شعائرهم الدينية ويحترم مقومات شخصيتهم الإسلامية.[72]

لكن ليون روش وجماعته لم يفلحوا في اقناع علماء الأزهر بمحتوى فتواهم. وبالرغم من ذلك لم يستسلموا فقصدوا بلاد الحجاز لملاقاة علماء المسلمين هناك، لكنهم خابوا وخذلوا في أن يقنعوا أي عالم باصدار مثل هذه الفتوى[73].

4)-**ارتكاب المجازر بهدف ترهيب سكان المنطقة واجبارهم على الاستسلام ووقف كل أنواع المقاومة:** يعتبر حدث تسليم مدينة الجزائر للفرنسيين سنة 1830م بمثابة انتصار سياسي وعسكري لا غير، أما الانتصار الأكبر والأشمل بالنسبة لهم فكان لا بد من أن يكون انتصارا دينيا، لأن رغبة هؤلاء تكمن في تحقيق الوحدة الروحية والدينية، والتي قد تكون بالنسبة لهم أسمى وأشرف من الوحدة الوطنية، وذلك بحسب منطق ذلك العهد؛ لكن مثل هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا على جسر التنكيل والاضطهاد باستخدام شتى الوسائل والسبل.

أمام اصرار السلطات الفرنسية على تجسيد مشروعها على أرض الواقع، كان على الأمة الجزائرية المسلمة المنبثقة من تلك الحضارة المهزومة، أن تستجيب إلى ثلاثة خيارات إما الاستسلام أو الاستشهاد أو الجلاء؛ فهناك فريق اختار الاستسلام معللا موقفه هذا على أنه أمر واقع وقضاء وقدر ولابد عليه الخضوع له، في حين فضل الفريق الثاني الهجرة من أرض الوطن نحو دول أخرى سواء كانت أوروبية أو عربية فرارا بأرواحهم ودينهم وأعراضهم، أما الفريق الثالث ففضل رفع لواء الجهاد أملا في استرداد ما ضاع منه أو على الأقل دفاعا على مقومات شخصيته الإسلامية. ولعل الدافع الرئيس وراء اندلاع المقاومة الشعبية في كل ربوع الوطن ومن بينها منطقة تيارت يكمن في عمق إحساس الجزائريين تجاه وطنهم الذي فرضت عليهم سياط القهر والتعسف التنازل على حقهم فيه، إنها محاولة اجتثات بالقوة لقلع ما تبقى من ثمالة حضارة دكت وانهدت، إلا أن هذه الفئة

واثقا من صناعة حصنه، استكير وتجبر...قبل أن يدمر الأمير الحصن ويهزم أنصاره..."، ينظر: اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص: 228-229.

71 -P-Azan, Op,cit, P : 67.

72- Ibid, P : 67.

73 -Ibid, P : 67.

المغلوبة على أمرها أرادت أن تراهن بآخر نفس لها، لذا كان عليها أن تختار الطريق الأصعب، طريق المواجهة المسلحة ورفض أمر الواقع.

لهذا سوف نجدهم يرفعون تمردهم واحتجاجاتهم الساخطة المتعالية في كل منطقة عرفت حضورهم سواء كان ذلك في الشمال أو الجنوب، في المناطق الساحلية أو الداخلية، هذه الأخيرة شهدت أعنف المقاومات المسلحة مما جعل مثل هذه الهزات تضعف الوجود الفرنسي في المنطقة، ليمتد على طول الأعوام الرابطة بين تاريخ 1830م وهو تاريخ سقوط مدينة الجزائر وإلى غاية الاستقلال الوطني واسترجاع السيادة الوطنية سنة 1962م، طيلة هذه الحقبة كان لسان حال الجزائريين عموما وساكنة تيارت على وجه الخصوص هو المقاومات الشعبية المسلحة والمنظمة والمدربة كلسان حال ناطق في وجه زبانية جيش الاحتلال الفرنسي الذي كان الخصم والحكم في الوقت نفسه.

ومن بين النماذج التي أتثبت لنا ذلك وقائع معركة فرندة (25 فيفري 1842م)، فبالرغم من التفوق العسكري للجيش الفرنسي إلا أن أفراد قبيلة بوزيري قاوموا بشجاعة قوات الجيش الفرنسي بقيادة لاموسيار، إذ أسفرت العملية على استشهاد أكثر من ثمانين (80) شهيد وأسر كل النساء والأطفال. في السياق ذاته وخلال السنة نفسها -1842- فاجأت مجموعة من الثوار قوات الاحتلال الفرنسي وأطلقوا عليهم النيران فقتلوا فارسا من عناصر الحشم الذي كان ضمن صفوف الاحتلال، هذه الأخيرة لاذت بالفرار[74].

في السياق ذاته نذكر تمرد معظم القبائل المستقرة في المناطق الموجودة ما بين معسكر وتيارت وشلف وغليزان سنة 1845م، فبعدما أخضعتها سلطات الاحتلال الفرنسي قهرا عادت من جديد إلى رفع لواء المقاومة بتشجيع من الأمير عبد القادر الذي حثهم على ضرورة مواصلة الكفاح المسلح ضد المحتل الغاصب، فثارت وتحولت إلى بركان انفجر في وجه العدوان الفرنسي لتكلفه خسائر كبيرة[75].

لم يتوقف اصرار ساكنة تيارت وضواحيها على طرد العدو الفرنسي من كل شبر في أرض الجزائر بل واصلوا مسيرتهم النضالية وهذه المرة تحت لواء مقاومة بومعزة سنة 1845م، حيث أعلن مولاي أحمد زعيم قبيلة الكسالنة أنه خليفة الثائر بومعزة، فحرض الكثير من قبائل المنطقة على المقاومة، وظل يثير القلاقل لفرنسا إلى أن ألقي القبض عليه. كما لم تتأخر كل من قبيلة عكرمة والعريسات وأولاد خليف في تقديم الدعم لمقاومة

74-بوعناني العربي، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908 ومواقف الزعمات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص ص 125، 127.

75- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، د ط، مؤسسة ناولت الثقافية، 2011م، ص ص 333، 334.

الشيخ بومعزة إلى أن اشتد بها الخناق فلجأت إلى قبيلة فليتة وصدامة، أما قبيلة أولاد لكرد فقد غادرت موطنها والتحقت بالجبال وظلت على اتصال مع الأمير عبد القادر[76].

أما موقعة تامدة بتاريخ 23 ديسمبر من سنة 1845 م فكانت نموذجا حيا لمقاومة وبسالة الجزائريين، فقد أتبثت وقائعها مدى التخطيط الجيد والحنكة العسكرية التي دفعت بقوات الجيش الفرنسي بقيادة يوسف إلى الوقوع في الفخ الذي نصبه لهم الأمير عبد القادر مع قواته، ولولا التحاق التعزيزات العسكرية بقيادة لاميرو "Laminault" الذي سحب القتلى والجرحى لكانت الكارثة حلت بيوسف وجنوده[77].

أمام التحدي القوي الذي رفعه الجزائريون ومنهم ساكنة تيارت اضطرت سلطات الاحتلال الفرنسي للبحث على حلول سريعة وناجحة لاجهاض مشروع المقاومة الشعبية الهاذف إلى طرد الاحتلال الفرنسي نهائيا، فتوصلت إلى أن الحل الوحيد هو ابادة هذا الشعب المقاوم بشتى الطرق، فكانت المجازر من أهم ما توصل إليه التخطيط الشيطاني لقادة الاحتلال الفرنسي، فقد ارتكب هؤلاء الكثير من المجازر على مستوى منطقة تيارت وضواحيها، ولنا وقفة مع نماذج منها.

أ)- **محرقة 1841م:** لقد تجسدت بربرية الاحتلال الفرنسي الغير إنسانية في حق الجزائريين من خلال استعمال القوة العسكرية للسيطرة على المجتمع وذلك بارتكاب أبشع المجازر[78]، وكانت منطقة الونشريس من بين المناطق التي صب عليها قادة جيش الاحتلال الفرنسي جم غضبهم عليهم وذلك من خلال اتباع خطة بيجو العسكرية الرامية إلى وتحطيم أملاك كل القبائل المساندة للمقاومات الشعبية للتوسع في المناطق الداخلية والهضاب العليا، كما مارس المحتل الفرنسي أساليب جهنمية كحرق المحاصيل الزراعية والغابات وإبادة السكان العزل في دواويرهم وقراهم وهناك العديد من الأمثلة تحدثت عنها تقارير أرشيفية وشهادات القادة مرتكبي تلك الجرائم أمثال "بيجو" وسانت آرنو، إضافة للمصادر التي وثقت عمليات هذه الجرائم[79]، ومن بين الأمثلة الهمجية التي ارتكبت في حق ساكنة المنطقة والتي ذكرها "الكونت سانت آرنو" " Le Comte de Saint Arnaud " في مذكراته محرقة 1841م، والتي كانت من بين أفضع وأبشع الجرائم التي سجلها التاريخ في حق الانسانية[80].

76- بوعناني العربي، المرجع السابق، ص ص 137، 138.

77-شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، 2011م، ص:298.

78- محمد الآمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصرة "دراسات ووثائق"، ط.4، البصائر الجديد، 2013، ص 93.

79-بليل محمد، المرجع السابق، ص78.

80- سانت آرنو، مذكرات سانت آرنو(1832-1841)، تر: عبد القادر ليفا، بداه المهدي، طبعة وزارة المجاهدين، 2009، ص 80-85.

ب)-مجزرة بني مايدة (1842/08/02): ارتكبت هذه المجزرة بتاريخ 02 أوت 1842 في "سمبسيل"[81]، ضد قبيلة بني مايدة بحجة أنها كانت تعرقل تحركات جيش الاحتلال الفرنسي،إذ اعتبرها هذا الأخير بمثابة قواعد خلفية للأمير عبد القادر، ولذلك توجه إليهم الجيش الفرنسي في حملة بقيادة "بيجو" والجنرال " شنقارنييه" وذلك بتاريخ 01جويلية من سنة 1842، وآسر منهم حوالي ثلاثة آلاف شخص من مختلف الأعمار، رجال ونساء، كما صادر أربعين ألف من الحيوانات كالغنم والأبقار والخيول وغيرها، ثم أطلق سراح الأسرى بينما وزعت أملاكهم على الدواوير الموالية للاحتلال [82].

بالرغم من المقاومة الشجاعة والمستميتة من أفراد القبيلة في صد العدوان الفرنسي على المنطقة إلا أن الحصيلة كانت ثقيلة عليها، وقد أكد على بشاعة المجزرة السفاح "بيجو" في رسالة بعث بها إلى الأمير عبد القادر، ذكر فيها ما نصه:« **لقد طرت من الفرح وأنا أرى أعمدة الدخان تتطاير، لقد أبدنا قبيلة بأكملها لأننا نريد استسلاما كليا أوإبادة كلية**» [83].

بينها ذهب المؤرخ الفرنسي(Bageja) إلى إخفاء الحقيقة، حيث ذكر الواقعة دون الوقوف عند تفاصيلها وحاول تبرئة جيش الاحتلال الفرنسي من جرائمه، وذكر أن "شنقارنييه" أطلق سراح الأسرى قرب مشارف متيجة بحجة أنها كانت تعرقل تحركاته[84]، وهذا عكس ما ذكره الرحالة الألماني "يوهان كارل بيرنت""Johann Carl Burnet "، الذي أكد على أن تجارة الرقيق كانت منتشرة ومزدهرة، حتى أنه عندما أُسر كان يعتقد أنه سيباع في سوق مليانة أوالمدية، والأطفال والنساء كانت سلعة تباع ويزداد الطلب عليها، فلقد حاول جيش الاحتلال تفريغ المنطقة من سكانها[85]، كما ذكر الضابط "اسكوت" " Asquith"في مذكراته أنه لما مر بمنطقة سمبسيل نواحي قبيلة مايدة (تسيمسلت) وجدها خرابا ودمارا[86].

ج)- مجزرة تاقدمت (21 ماي 1841): تضاف مجزرة تاقدمت إلى قائمة المجازر الرهيبة والوحشية التي نفذها الجيش الفرنسي، والملاحظ عليها أن المؤرخين الفرنسيين لم يذكروا أحداثها وحاولوا إخفاء هوية القائد الفرنسي الذي ارتكب المجزرة وحتى القادة العسكريين بدورهم لم يسجلوا في مذكراتهم، أما الوحيد الذي انفرد بذكرها هو الكولونيل

81- **سمبسيل:** منطقة تكثر بها مصادر المياه والعيون، تلجأ إليها قبيلة بني مايدة صيفا هربا من حرارة السرسو، ينظر: سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 40.

82- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص: 63.

83- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص: 57.

84- المرجع نفسه، ص: 41.

85- يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر وتح: أبوالعيد دودو، د ط، دار هومة، الجزائر، 2009، ص ص: 33-34.

86- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص: 41.

"اسكوت" الذي لازم الأمير عبد القادر سنة 1841م، ونقل تفاصيلها.[87]وتفاصيل أحذاث المجزرة تتلخص في ما يلي:

جهز المارشال السفاح "بيجو"حملة عسكرية توجه بهم إلى "تاقدمت" ضمت حوالي عشرين ألف جندي نزلت بميناء مستغانم، أين التحقت به بقوات "لامور بيسار"[88]، وخلال هذه العملية يظهر الدور البارز الذي لعبه الجاسوس"ليون روش"، الذي التحق بالجيش الفرنسي بعد جمعه لكل المعلومات واطلاعه على نقاط قوة المسلمين وضعفهم، خاصة وأنه كان قد كلف بمهمة التفتيش على أماكن التي كانت تتواجد بها مصانع الأسلحة والمتمركزة في المدن، ويذكر مصطفى ابن التهامي أن الأمير عبد القادر صدم الجنرال "بيجو" لما أحرقها قبل وصوله[89].

بعد وصول الجيش الفرنسي إلى عين المكان توزع أفراده بين منازلها المهدمة وعلى طرقاتها المهجورة، عندها أمر الجنرال "بيجو" سلاح المهندسين بتفجير الألغام لتدمير التحصينات، أخذ الجنود الجيش يبحثون عن الأحياء من السكان فلم يجدوا إلا شيخا مريضا أجهزوا عليه دون رحمة أو شفقة.[90] وعندما لم يجدوا من يقتلوه صبوا جم غضبهم على الكلاب وذلك حسب ما ذكره "اسكوت" معلقا على الواقعة: "**لوأراد الملك "لويس فيليب" "Louis Philippe " مكافأة جيشه الباسل على الحملة التي شنها على تاقدمت فإني أنصحه أن يصدر لهذه العملية ميدالية ينقش على جهة عبارة تاقدمت والجهة الأخرى صورة كلب** [91]".

د)-مجزرة مغارة الفراشيش (1846/06/18): تعتبر مجزرة مغارة الفراشيش[92] أو الظهرة احدى الحلقات الرهيبة في حرب فرنسا ضد الجزائريين، فقد أقدم جنود الجيش الفرنسي بقيادة "بيلسيه بإحراق عن ما يزيد عن 732 شهيدا ليموت ما نجا منهم اختناقا بالدخان، بعدما تحصنوا بمغارة كبيرة كان يلجأ إليها أولاد رياح تجنبا للخطر الفرنسي

87- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص: 27.

88- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 55.

89- الحاج مصطفى ابن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح، تق، تع:يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص: 147.

90- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 42.

91- بوعناني العربي، المرجع السابق، ص: 122.

92- **الفراشيش:** نبات يتسلق أوراقه الصخور وهي مغارة تقع في حدود جبال الظهرة وجبال الونشريس، ينظر: هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، طبعة خاصة، دار النهضة، 2009، ص: 236.

بسبب رفضهم الاستسلام لقوات "بيلسيه". ولقد كانت للحادثة المأسوية صدى واسع وقتها، إذ اعتبرها المجتمع الدولي من بين أبشع جرائم الإبادة الجماعية[93].

ولقد أعطى أحد شهود عيان وهو الرحالة الألماني "مالتسان" "Maltsan " وصفا دقيقا على مكان المأساة وذلك خلال زيارته له فذكر بأن التشققات لازالت سوداء من أثر الدخان، ووصل إلى نتيجة أن هذا كان مصير قبيلة رفضت العيش تحت سلطة الاستعمار، إن العسكريين الذين أرغموا على الدخول إلى المغارة لم يتحملوا منظر الجريمة بسبب حجم المآسي التي تجاوزت كل طاقات البشر إذ لم يترك الموت أحدا، لقد رحل أولاد رياح وهم يصارعون من أجل البقاء."..**عجوز تحمل جرة تحاول شرب الماء، وامرأة تصارع ثورا مسعورا دفاعا عن رضيعها... " كانت الأرض المسودة من الدخان تحتضن الجياد والرجال والنساء والخرفان والماعز والأسلحة والألبسة، وكلها محترقة ملفوحة أواستحالت رمادا، هكذا انتهت قبيلة أولاد رياح فقد لفظت أنفاسها الأخيرة في هذه المغارات المخيفة وهي تعاني عذابا آليما يعجز القلم عن وصفه".** [94] لقد ارتكب جنود الاحتلال إبادة جماعية لم يتحمل الرحالة الألماني فضاعتها وسجل تأبين ورثاء للقبيلة المحترقة[95].

لقد حركت هذه الجريمة الضمير الأوربي وتدخل وزير الحربية الفرنسي ووبخ العقيد "بيلسيه" على جريمته، لكن هذا الأخير لقي مؤازرة من جنرالات الجزائر خاصة "بيجو" الذي دافع عنه، وبعث "سانت آرنو" رسالة تشجيعية له ورد فيها ما نصه : «**لا أحد كان يدري كم كانت تحتوي المغارة، خمس مئة مقاتل، لن يتعرضوا مستقبلاً للفرنسيين**»[96].

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية حول نماذج من جرائم الاحتلال الفرنسي ضد ساكنة تيارت وضواحيها يمكننا الخروج بمجموعة من النتائج لعل من أهمها نذكر:

- كان للموقع الجغرافي الممتاز لتيارت دورا بارزا في أن تلعب المنطقة أدورا مهمة سجلها التاريخ على مدى عقود من الزمن.

93- محمد الآمين بلغيث، المرجع السابق، ص 96.
94- هانريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 236.
95- المصدر نفسه، ص ص: 236-240.
96- سعيداني سحنون، المرجع السابق، ص 44.

➢ تنوعت وتعددت أسماء القبائل وفروعها ومواطنها في منطقة تيارت وضواحيها كما تنوع توزعها الجغرافي ما بين الشمال والجنوب –التل والصحراء- مما أوجد حركة تنقلية نشيطة.

➢ من خلال ما تم عرضه من معطيات حول الأسس التي بني عليه النظام القبلي في منطقة تيارت وضواحيها خلال الحكم العثماني واستمر كذلك إلى غاية الاحتلال الفرنسي للمنطقة نستنتج أن غياب الشرعية السياسية عند الزيانيين بالإضافة إلى ضعفهم وعدم قدرتهم على حماية السيادة الترابية للبلاد جعل من الجزائر تنقسم على نفسها إلى مجموعة من الأطر الجغرافية تشغلها مجموعة من القبائل موحدة فى شكل أحلاف اجتماعية تمارس سلطتها على نطاق الاطار الجغرافى الذي اعتبرته ملكا خاصا بها ولا يحق لأي كان تحت أي ظرف من الظروف أو تحت أي غطاء سياسى شرعى الاعتداء عليه أو المساس بسيادته. كما نلاحظ أن التكوين نفسه الذي كان عامل تمزيق للمجتمع التيارتى هو نفسه حارب العدوان الفرنسي بكل شراسة وقوة وكبدها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.

➢ عرقلت المقاومة العنيفة والشجاعة لساكنة تيارت مشروع التوسع الفرنسي على مستوى المنطقة، لذلك سعت السلطات التشريعية والعسكرية إلى ايجاد حلول استعجالية تهدف إلى اجهاض المقاومة الشعبية التي كبدت الاحتلال الفرنسي خسائر مادية وبشرية، كما أعاقت توسعها.

➢ مارست سلطات الاحتلال الفرنسي كل أنواع التنكيل والاضطهاد سواء كان معنوي أو جسدي أو مادي بهدف اخضاع ساكنة تيارت، ولكن هؤلاء لم يستسلموا لهذا الواقع وفضلوا المقاومة، فسقط الكثير من الشهداء، واستبيحت الأعراض، وأحرقت القرى والمزارع والغابات، واستعبد الأطفال والرجال.

قائمة المصادر والمراجع

أولا) المصادر

أ)- المخطوطات:

مؤلف مجهول- تاريخ الأندلس- مخطوط رقم: 1528- الخزانة الحسنية- الرباط.

ب) الوثائق الأرشيفية:

ملف الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم الملف:1640

ملفات الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم الملف: 3205.

ملفات الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم الملف: 1642.

ج)-المصادر المنشورة والمحققة باللغة العربية.

الإدريسي أبوعبد الله الشريف ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح وتق: إسماعيل العربي، دط، د د ن، الجزائر، 1983م.
البكري أبو عبد الله، المسالك والممالك، تح:جمال طلبة، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
ابن التهامي الحاج مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح، تق، تع:يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
ابن الحسن علي ابن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح وتق: إسماعيل العربي، د.و.م.ج، الجزائر، 1982م.
الحموي ياقوت، معجم البلدان، دط، دار الفكر، بيروت، د س ن.
ابن خلدون محمد بن عبد الرحمن تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، ج: 6، د ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/1871م.
الراشدي ابن سحنون أحمد بن محمد، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، د ط، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البحث، الجزائر، 1973م.
الراشدي أحمد بن عبد الرحمان الشقراني، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصر الدين سعيدوني، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
الزياني محمد يوسف، دليل الجيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران، تق وتع: المهدي بوعبد الله، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
سانت آرنو، مذكرات سانت آرنو(1832-1841)، تر: عبد القادر ليفا، بداه المهدي، طبعة وزارة المجاهدين، د د ن- د ب ن، 2009م.
بن عبد الله عبد الواحد محي الدين المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،- تح: العريان سعيد-، د ط، المجلس الأعلى للشؤون العربية-، الجمهورية العربية المتحدة، د س ط.
بن العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلاءهم على أوطانها، مر، تع:يحي بوعزيز، د ط، دار هومة، الجزائر، 2005م.
كريخال مرمول، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، د ط، دار المعرفة، الرباط، 1989م.
المقري بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني- نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تح: إحسان عباس، دار صادر- د ط- بيروت- 1408هـ/ 1988م.
بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن عبد الكريم، ط:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، طبعة خاصة، دار النهضة، 2009م.
شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق وتقديم: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، 2011م.
الوزان الحسن بن محمد، وصف افريقيا، ج:2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر وتح: أبوالعيد دودو، د ط، دار هومة، الجزائر، 2009م.

د) المصادر باللغة الأجنبية

A.Bellegrin, Essai sur les noms et les lieus d'Algérie et de Tunisie, Etymologie édition, Tunis, S. A. P. I, 1940.
E. Carette, Origine et migration des principales tribus de l'Algérie impériale, ParisEsterhazy Walisn, Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, 1840.
P-Azan, Les Grands soldats, publication Du National Métropolitain du cent unaire de l'Algérie, Alger, 1930.

ثانيا: المراجع

أ)- المراجع باللغة العربية:

بلغيث محمد الآمين، تاريخ الجزائر المعاصرة "دراسات ووثائق"، ط.4، البصائر الجديد، 2013م.
البنا السيد محمود، المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها، د ط، مكتبة زهراء الشرق، د ب ن، د س ن.
البوعبدلي المهدي، لقطات من تاريخ مدينة تيهرت التاريخي والحضاري في القرون الأولى من العهد الإسلامي، بحثنشر ضمن مؤلف جماعي موسوم بـ: تاريخ المدن، جمع واعداد: عبد الرحمن دويب، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
//////////، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1980م.
//////////////، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط:3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م.
بن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي للأرشيف العثماني الجزائري(956-1246هـ/ 1549-1830م)، د ط، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي، د س ن.
الزبيدي أبو الفيض محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، د ط، دار الحكومة، الكويت، 1990م.
سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
السويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د د ن، الجزائر.
شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، د ط، مؤسسة ناولت الثقافية، 2011م.

شارل وربر آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د ب ن، 1982
صاري جيلالي، 'الونشريس مهد الكفاح بعيد وقريب، مجلة الأصالة، ع.83-84، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م.
الطاهري عمري، بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، د ط، جامعة منتوري، قسنطينة 2001م.
العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، د ب ن، 2008م.
العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
العسلي بسام، المارشال بيجو، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م.
عنان محمد عبد الله، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، ط:2، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، د ب ن، 1311هـ/1921م.
القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ط:5، دار النفاش، لبنان، 1405هـ/ 1985م.
كورين شوفالي، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1540م، تر: جمال حمادنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.
المدني أحمد توفيق،حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ط:1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
المغازي أماني بنت جعفر بن صالح ، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط:1، دار القاهرة، القاهرة، 2007م.
الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص: محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.
وجدي محمد فريد، دائـرة معـارف القـرن العشريــن، ط: 3، دار المعرفة، بيروت.

ب)- المراجع باللغة الأجنبية:

Jacques Morel, Calendrier, des Crimes de la France d'outre-mer, 2005

المقالات باللغة العربية:

بليل محمد، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، مجلة أبحاث، ع:2، دار الثقافة، تسيمسلت، 2013م.
دحدوح عبد القادر، امارة بني توجين بمنطقة الونشريس بين مواجهة الصفار وتحدي الكبار، مجلة أبحاث، منشورات دار الثقافة لولاية تسيمسلت، ع:1، 16-20ماي 2020م.
سعيداني سحنون، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
بن صحراوي كمال، أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري، (ثورة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864م أنموذجا)، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الجزائر، ع: 15، جوان 2015م.

فكاير عبد القادر، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية، دار الناشري للنشر الالكتروني، الكويت، ع: 18 ديسمبر 2012م.
مياسي إبراهيم، مساهمة القادرية في تأطير الثورات الشعبية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع:4، 2003-2004م.
ميساوي مجدوب، مقتطفات من تاريخ قبيلة العمور ببلاد جبال العمور، الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع:12.

ب)- المقالات باللغة الأجنبية

Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R, C, 1871_1872
Chaumu, Monorites et conjoncture l'expulsion des Morisque en 1609, R his, Paris, 1961, n°1
Pierre Boyer, Les pachas triennaux à la révolution d'Ali Khoja (1571_1817), R H, N: 495, (99/124), P. U. F, 1970

رابعا) الرسائل الجامعية

أ)- باللغة العربية

- بوعناني العربي، المقاومة الشعبية في منطقة تيارت (1830-1908) وموقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادو الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018-2019م.
بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة وهران، 2007-2008م.
حباش فاطمة، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة سيدي الشيخ (1820-1896)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة وهران، 2004- 2005م
دحماني توفيق، النظام الضريبي ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني (1193هـ-1779م /1246-1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004م.
سعيداني سحنون، الإستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
مرتاض عبد الحكيم- الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ والآثار بجامعة أحمد بن بلة – وهران- 2015-2016

ب)- باللغة الأجنبية:

Laila Babes, Tribus, structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D. E. A d'études approfondies, Université de droit d'économie et de sciences d'Aix Marseille